

تخطيط العمران:

المدن في الأدب والمجتمع والثقافة العربية

المدرسة الصيفية الدولية الثنائية اللغة

التي نظمتها الأكاديمية العربية الألمانية للباحثين الشباب (AGYA)

في جامعة كافوسكاري (Ca' Foscari) في البندقية، إيطاليا

17-19 تشرين الأول / أكتوبر 2019

ضمن نشاطات مشروع

"نحو دراسات عربية برؤى متعددة / Arabische Philologien im Blickwechsel"

(arabic-philologies.de)

تقرير

كولندا لندرمان، جامعة برلين الحرة

تدعو مدينة البندقية إلى التفكير في المدن وتطورها التاريخي وانعكاسات ذلك على الأدب. ويدل موقع البندقية وبنيتها التحتية ووسائل النقل العام فيها على ابتكار الناس وتكيفهم مع معطيات الطبيعة وظروف الحياة. إنها شاهد على تاريخ طويل ومعقد حيث تنعكس خصوصياتها حتى في اللغة، فلغة البندقية مختلفة عن الإيطالية السائدة. فعلى سبيل المثال يسمى النهر "ريو" بدلاً من كلمة "فيومه" الإيطالية. كما أن بيوت المدينة وكنائسها تذكر بالتاريخ الغني والمؤثر مثل باسيليكسا سان ماركو المليئة بغنائم الحروب الكثيرة وقبابها الخمس المقتبسة من العمارة البيزنطية.

اجتمعنا نحن ثلاثة عشر طالب دكتوراه في علوم الأدب والتاريخ والثقافة العربية صباح يوم الخميس الباكر ومشينا معاً عابرين جسوراً صغيرة وساحات جميلة إلى أن وصلنا بيتاً فاخراً بُني في منتصف القرن الخامس عشر يطل على كنال غرانده. رحّبت بنا الأستاذة أنطونيلا غرسيتي من جامعة كافوسكاري البندقية التي أخذت اسمها من هذا البيت "كافوسكاري" الذي هو الآن المبنى الرئيسي للجامعة. ثم استمعنا إلى بربارة وينكلر وكريستيان يونغي وبلال الأرفه لي وأنطونيلا غرسيتي وهم، بالإضافة إلى تاميراس فاخوري وخالد تلاحة، منظموا المدرسة الصيفية التي شاركنا فيها.

وأكد المنظمون في خطابهم الافتتاحي وتقديمهم للأكاديمية العربية الألمانية للباحثين الشباب في العلوم والإنسانيات (AGYA) على الوظائف اللغوية والمعرفية والأخلاقية لهذه المدرسة الصيفية. إنّ هدف الاجتماع هو التبادل الأكاديمي بين الطلاب العرب والأوروبيين بدون خوف من اللغة التي لم يعتادوا على استخدامها ولا قلق من حكم المستمعين أو تقديمهم لموضوع البحث. وساهم هذا الخطاب التمهيدي في خلق إطار إيجابي ومنفتح أثناء الأيام الثلاثة التي قضيناها معاً وناقشنا خلالها مواضيع أدبية واجتماعية ومدنية. افتتحنا جلسة النقاش الأولى بتناول بعض النصوص المركزية لدراسة المدن باللغة الإنجليزية، ولاحظنا على الفور حماس الأساتذة في النقاش والاختلاط المفيد

والعفوي للغات في المداولة. بعد ذلك بدأت مداخلات الباحثين الشباب الشيقة والمناقشات المكثفة التي تركزت حول الجغرافيا في أعمال الثعالبي ومدينة القاهرة في روايات نجيب محفوظ ومدينة عمان وإشكاليات الهوية العمانية على سبيل المثال (انظر أيضاً إلى برنامج المدرسة الصيفية). ثم غادرنا قاعة الاجتماع وأثارت الأزقة الضيقة والمناظر الرائعة دهشتنا وإعجابنا في طريقنا إلى مطعم الغداء أو القاعة الثانية في مبنى كاكابيلو الذي انتقلنا إليه بعد الظهر. وختمت محاضرة خالد زيادة المفتاحية اليوم الأول حيث تحدث عن مداخل مختلفة لفهم المدينة العربية والتجديد فيها.

جاء يوم الجمعة والتمعت أوراق شجر المدينة الحريفية تحت ضوء الشمس التي اجتذبتنا إلى التسكع والتجول في الممرات اللطيفة ومشاهدة المقاهي المريحة وواجهات العرض الممتلئة بزجاج مورانو الشهير. عدنا بعدها إلى معهد أبحاث الشرق الأوسط في مبنى كاكابيلو. وكما فعلنا في اليوم السابق، انقسمنا إلى فريقين لتيسير النقاش ثم استمعنا إلى مداخلة في موضوع مدينة إرم ذات العماد المذكورة في القرآن وفي مسلسلات كارتون حديثة أو موضوع الفكاهة الحضرية المصرية في رواية "نساء الكرتينا" لنائل التوخي. رافقنا خلال التقديمات الباحثون المشرفون شرين أبو النجاء، أنطونيلا غرسيتي، بثينة خالددي وآدم طالب بتعليقاتهم المنهجية المهمة والمفيدة لتطوير أبحاثنا. ولا زلت أتأمل فيما شاركنا فيه آدم طالب من نصائح مبدئية حول كيفية طرح الأسئلة بطريقة مناسبة وحول العمل البحثي كسلوك وأسلوب حياة. بعد استراحة قهوة ألقى سيمون سيبيليو من جامعة كافوسكاري البندقية محاضرة عن المدينة في الشعر العربي الحديث حيث تبدو القصيدة المعاصرة كأنها عمرانية فعلاً وهي تتناول المدينة كجسد المرأة في حين وترسم في أبحاثها خريطة بلد في حين آخر. قمنا قبل العشاء بمناقشة النصوص العربية النظرية وتجادلنا في مفهوم المدينة الإسلامية أو العربية، لكن وقت المناقشة لم يتح لنا التعمق في السؤال الأشمل وهو إلى أي حد ممكن أن نعطي المدن صفة مدن إسلامية.

ومن أفضل ملامح مدرسة AGYA الصيفية، من وجهة نظري، تعامل الباحثين الشباب مع اللغة بطرق متنوعة. فالبعض قدم بحثه باللغة العربية لأول مرة في حياته وفضل الإجابة على أسئلة وتعليقات خلال المناقشة باللغة الإنجليزية، والبعض الآخر تجرأ على تقديم جزء من المداخلة باللغة الإنجليزية قبل أن يعود إلى العربية. ومن المهم أيضاً الإشارة إلى أن بعض المشاركين العرب في أغلب أوقاتهم لا يتحدثون عن مواضيعهم الأكاديمية إلا باللغة الإنجليزية وأن اللغة العربية الفصحى كانت لهم بمثابة لغة ثانية مثلما هي للباحثين الأوروبيين. بعد مداخلات يوم السبت تبادلنا انطباعاتنا في الجلسة الختامية فوجدنا أنه قد تم تطبيق المبدأ الأخلاقي للمدرسة الصيفية تماماً وأنه لم تزد معرفتنا في مجال الأدب والثقافة العربية المدنية فحسب، وإنما في مجال أدب البحث وثقافة التعليم الأكاديمية كذلك. علاوة على التجربة الممتعة والمتميزة في قضاء ثلاثة أيام كاملة في هذا الفريق وضمن مناخ محفز، نشكر المنظمين على الإدراك الجوهري بأن معرفتنا وفهمنا ينموان بقدر ما نتجاوز حدود اللغات.